جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم
دراسة نظرية وتطبيقية
على بعض الآيات

الدكتور/ أحمد عمر أحمد السيد

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن

كلية الشريعة وأصول الدين جامعة نجران

العدد السادس عشر
للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
الجزء الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٩٤٠/ ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرا بصيرا، وتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ،وصلى الله على من أرسله ربه هاديا ومبشرا ، ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد ،،،،

فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون ،ويشتغل به المشتغلون ،هو كتاب الله عز وجل تعلما وتعليما ؛ إذ هو المعجزة الباهرة ،والحجة القاهرة لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا يشبع منه العلماء ،ولا يخلق على كثرة الرد ، ولما كان هذا العصر عصر إيمان بالمحسوس وإعراض عند كثير من الناس عن الغيب ورسالات الرسل كان من الواجب على المسلمين إبراز عظمة الإسلام وأنه الدين الذى ارتضاه الخالق سبحانه لعباده وإظهار عطمة كتابهم وما فيه من صنوف الإعجاز المبرهن على أنه من عند عليم خبير سبحانه وتعالى فدخل السعداء منهم في دين الله أفواجا واطمأنت نفوسهم لهذا الدين ومن هنا تظهر أهمية معرفة الإعجاز القرآني وإدراك عظمة الكلام الرباني إذ هو من أهم المعارف وأشرفها ومن أجل العلوم وأعظمها فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وتضلع من معانيه وظهر له قدره ووضحت عنده أهميته وفضله وإن إظهار الإعجاز في هذا الكتاب العظيم وبيان العطمة في مبانيه ومعانيه من الأمور الواجبات والمهام المطلوبات في كل زمان ومكان وفي هذا الزمان خاصة ولما كان موضوع إعجاز القرآن من الموضوعات الحيوية المتجدده لتعلقه بصحة الرساله وصدق الررسول الذى جاء بها وإقامة الحجة والبرهان في كل عصر وعلى الناس قاطبة في كل مكان بما يتناسب مع مدارك الناس العلمية ومعطيات الحضارة والتقدم العلمي فإن التأليف فيه قد كثر وشمل المجالات العامة والتخصصية وتناول العلماء الإعجاز من جوانب متنوعه فمنهم من تناوله من الجانب البياني ومنهم من تناوله من الجانب التشريعي ومنهم من تناوله من

الجانب العلمي ومنهم من تناوله من جانب الإعجاز الغيبي وغيرها من جوانب الإعجاز وقد تناولت في بحثي هذا نوعا من أنواع الإعجاز ألا وهو الإعجاز الغيبي وحديث القرآن عنه وأقسام هذا الإعجاز والتعريف بكل قسم منه وتطبيقات لبعض الآيات علي كل قسم من هذه الأقسام كما يتضح من خطة هذا البحث وعنونت له بعنوان : الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية .

وقد اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وهي كالتالي :

التمهيد : ويشتمل على :

تعريف المعجزة. الفرق بين المعجزة والكرامة .

تنوع المعجزة . تنوع المعجزة باعتبار المرسل إليه .

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :

الإعجاز الغيبي وفيه فصلان :

الفصل الأول : الإعجاز الغيبي وأقسامه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المراد بالإعجاز الغيبي في القرءان الكريم .

المبحث الثاني : أقسام الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.

الفصل الثاني : تطبيقات على أنواع الإعجاز الغيبي .

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : الإخبار عن الغيب الماضي وبعض الآيات الدالة على ذلك ووجه الإعجاز فيها .

المبحث الثاني :الإخبار عن الغيب الحاضر وقت نزول القرآن وبعض الآيات الدالة على ووجه الإعجاز فيها .

المبحث الثالث : الإخبار عن الغيب المستقبل وبعض الايات الدالة على ذلك ووجه الإعجاز فيها.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات .

ثبت المصادر والمراجع

التمهيد تعريف المعجزة :

المعجزة في اللغة :

من أعجز وعجز وهو ما يقابل الدرة والتاء فيها للمبالغة والعجز نقيض الحزم والعجز: الضعف وعجز عن الأمر إذا قصر عنه [١]

والمعجزة اصطلاحا :

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسله (٢).

وقال القرطبي (٣) رحمه الله : والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها وشرائطها خمسه فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة .

الأول : أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه .

الثاني : أن تخرق العاده ويرى شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله وجوب ضبط الوضف بجريان الخارق على يد النبي (٤)

الثالث : هو يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق رسالته من الله عز وجل .

الرابع : هو أن تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له .

الخامس : ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدى علي وجه المعارضة (٥)

ويمكن تقسيم ما يظهر على يد أي نبي من الخوارق المعجزة إلى نوعين :

الأول ما يراد به إثبات الرساله، وشرطه التحدي الصريح كالقرآن العظيم وبعض معجزات الانبياء والتصريح بأن هذا الخارق المعجز هو دليل الرسالة كقول النبي الله صالح عليه السلام (هذه ناقة الله لكم ءاية) [الأعراف٧٣]

---

(١) ينظر لسان العرب مادة عجز باب الزاي فصل العين والجيم

(٢) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٢٥٢)

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر المشهور صاحب كتاب الجامع لأحكام القرءان المتوفي سنة (٦٧١)

(٤) ينظر :مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٣١١_٣١٢)

(٥) ينظر :الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٠٥-١٠٧)

الثاني : أن يظهر الخارق على يديه بلا اقتران بدعوى الرسالة ،وهذا لا يشترط فيه التحدى ،بل قد لا يعلمه الكفار أصلاً فيقع بين المؤمنين كنبع الماء من بين يديه ﷺ الشريفة وغيره .

ويندفع بهذا التقسيم الاعتراض على اشتراط التحدي في المعجزة(١).

الفرق بين المعجزة والكرامة :

المعجزة :أمر خارق للعاده يظهره الله على يد النبي أو الرسول وهو في حالته البشرية .

والكرامة : أمر خارق للعادة يجريه الله على يد اوليائه ، المواظبين على طاعته المجتنبين لمعصيته المعرضين عن الإنهماك في الملذات .وذلك كجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه حيث هم أهل مصر على عادتهم قبل الإسلام بأن يلقوا فيه فتاة بكرا وكرؤية عمر رضي الله عنه وهو على المنبر في المدينة جيش نهاوند حتى قال لأمير الجيش : ياسارية الجبل الجبل محذرا له من وراء الجبل وكشرب خالد بن الوليد السم .

فالفرق بينها وبين المعجزة من عدة وجوه :

أولا :أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي لا يستطيع أحد من الناس معارضتها والإتيان بمثلها ،بخلاف الكرامة التى لا تحدي فيها ويمكن معارضتها، والإتيان بمثلها ، بل بأبلغ منها ، بأن يجريها الله على يد كثيرا من أوليائه في زمن واحد ، أو في أزمنة مختلفة.

ثانيا: إن النبي يعلم بمعجزته ويستطيع إظهارها كلما طلب منه ذلك أو كلما دعت الحاجة إليه، يتحدى بها ، وأما الولي فمن المحتمل ألا يعلم بالكرامة قبل وقوعها، وإنما تجري على يده فجأة ودون قصد، كما إنه من المحتمل أن يكون عالما إلا أنه قد لا يمكنه تكراره بأن تسلب منه أن تقتضي الحكمة الإلهية تخلفها.

ثالثا: إن الكرامة لا تصل لدرجة ولد من غير والد أو قلب جماد إلى حيوان أو عكس ذلك (٢).

---

(١) ينظر : إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء لمحمد حسن عقيل موسى (٣٧).
(٢) ينظر : المعجزة الإلهية للدكتور محمد حسين هيتو ١٧-١٩. ٢

تنوع المعجزة باعتبار المرسل إليهم:

إن من الضروري أن تكون المعجزة من نوع ما يتعارف عليه القوم الذين أرسل إليهم الرسول او بعث فيهم النبي، حتى يتمكنوا من تصورها تصورا صحيحا، ليصدروا عليها الحكم الصحيح فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلو كانت المعجزة من نوع ما يجهله القوم المرسل إليهم، ومما لا يعرفون عنه شيئا ، لما كان بإمكانهم تصورها التصور الصحيح ، فلو أن موسى عليه السلام ذهب إلى فرعون وقومه بمعجزة لغوية كمعجزة النبي ﷺ في القرآن وقرأها عليهم لقالوا له : إن ما جئتنا به كلام عادي ليس فيه إعجاز ولا يدل على صدقك ولو كنا نعرف العربية أو نطقناها كالعرب لأتيناك بكلام أبلغ من الكلام الذي جئتنا به ولما أفلحت معهم معجزته البلاغية ن وما ذلك إلا لأنهم لا يعرفون العربية، ولو عرفوها لكانت

عرفتهم لها معرفة يسيرة لا تمكنهم من الوقوف على وجه الإعجاز في القرىن ، ولذلك كان لابد له م معجزة تتناسب مع معارفهم وعلومهم . وعلى العكس من ذلك لو أن محمد ﷺ ذهب أول الأمر إلى العرب في الجزيرة العربية بمعجزة مادية كمعجزة موسى عليه السلام بأن يلقي عصاه في الأرض فتنقلب إلى حية تسعى والعرب أمية أمية لا تعرف طلأ ولا سحرا ، لقال العرب قولا واحد لا يختلف : إن ما جئتنا به السحر ولو كنا نعرف السحر لتمكنا من إبطال معجزتك التى أتيت بها .وما ذلك إلا لجهلم بحقيقة السحر وحقيقة ما أظهر أمامهم من قلب العصا إلى حية تسعى .

ولذلك كان لابد من معجزة تتناسب مع معارفهم وهلومهم ، يتمكنون بواسطتها أن يدركوا أنها ليست من صنع البشر وإنما هي من أمر الله ليستدلوا بها على صدق الرسول في دعواه .

فلهذا لما اشتهر قوم فرعون بالسحر وعرفوا به كان لابد من لمعجزة موسى عليه السسلام أن تكون من نوع ما تعارفوا عليه حتى يتم إفهامهم وتثبيت المعجزة لديهم فذهب موسى عليه السلام إليهم بمعجزة من نوع عملهم وهي أن يلقي عصاه في الأرض فتنقلب إلى حية تسعى ،ويدخل يده في جيبه فتخرج

بيضاء من غير مرض ولا عاهة.

وقد حكي علينا القرآن قصته فقال سبحانه (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكا عليها واهش بها علي غنمي ولي) طه (١٧-٢٤)

ولما اشتهر بنوا إسرائيل بالطب في زمان عيسى عليه السلام كان لابد أن تكون المعجزة من نوع علومهم التى تعارفوا عليها ، واشتهروا بها فكانت إحياء الموتى ،وما شابهها من المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام لأن غاية ما يستطيع أن يفعله الطبيب قديما وحديثا هو تشخيص المرض ، ووصف العج لشفائه ،إلا انه ما حدث ،ولم يحدث ولن يحدث ،أن يتمكن الطبيب من إحياء الموتى ،ولن يستطيع أن يصل لدرجة إخراج الحياة من الجماد فلم يستطع ولن يستطيع ذلك .

فبعث الله سبحانه إليهم عيسى بمعجزة كبرى وهي انه يحي الموتى فإذا ما رأت تلك الأمة إنسانا يحي الموتى بعد موتهم ،ويصنع من الطين كهيئة الطير ويبرىء الأكمه والأبرص بإمرار يده عليه،علمت أن هذا الإنسان ، لا يعمل هذه الأمور بقدرته لأن قدرة البشر في هذا لامجال محدودة، عند ذلك توقن أن هذه الأعمال خارقة للعادة ، وهي بقدرة الله سبحانه خالق هذا الكون .

فقال سبحانه قاصا علينا معجزة عيسى عليه السلام (ورسولا ألى بني اسرائيل)(ال عمران ٤٩)

ولما بعث خاتم النبيين محمد ﷺ كان لابد أن تكون معجزته من نوع ما يتعارف عليه قومه ليكونوا أقدر على إدراكها ومعرفة حقيقتها ، ولما كانت البيئة العربية التي بعث فيها محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن امة مثقفة ذات حضارة ،وإنما كانت أمة أمية ،لا تعرف الطبا ولا تعرف فلسفة وإنما كانت تجيد فنا واحدا بلغت فيه ذروة الكمال ألا وهو فن البلاغة والبيان اللغوى في التعبير عن المراد وصياغة الحكمة في التوجيه والإرشاد .فلذلك كانت معجزته الكبرى عليه الصلاة والسلام معجزة لغوية تتجلى في آيات القرآن الكريم فما سمعه واحد منهم إلا وملك عليه قلبه ، واستأثر بعقله لما فيه من البلاغة والبيان والجمال والدقة والروعة والإتقان وهي الأمور التي مارسها العربي وكان قلبه يذوب في معانيها

.فما كان منهم إلا وقفوا عاجزين أمام هذه المعجزة العظمى .

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :

ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم عشرة (١):

النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء ولذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه : وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرءان مبين).

وفي صحيح مسلم : أن أنيسا أخا أبي ذر قال لأبي ذر ﷺ "لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحروكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر .والله إنه لصادق وغنهم لكاذبون ...)"(٢)

وكذلك أقر عتبة بن الربيع أنه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله ﷺ : (حم) [فصلت :١] على ما ياتي بيانه هنالك فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان ، وموضعه من الفصاحة والبلاغة بأنه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا القور مقرا بإعجاز القرآن له ولضرباته من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه .

الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب .

الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال وتأمل ذلك في سورة (ق والقرءان المجيد) إلى آخرها ،وقوله سبحانه في سورة الزمر (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحنه وتعالى عما يشركون) [الزمر :٦٧] إلى ىخر السورة قال ابن الحصار فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح فيخطاب غيره .

قال ابن الحصار وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كل سورة

---

(١) ينظر جامع الأحكام للقرطبي ١/١٠٨

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى ذر ﷺ حديث رقم (٤٥٢٠) .

بل هي لازمة كا آية وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموعكل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي والتعجيز ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة من غير أن ينضاف إليه أمر آخر من الوجوه العشرة .

التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتي يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة ورحف في موضعه .

الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمى ما كان يتلو من قبله ومن كتاب ولا يخطه بيمينه فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدوه به من قصة أهل الكهف وشأن موسى ةالخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين فجائهم – وهو أمي من امة أمية ليس لها بذلك علم – بما عرفوا من الكتب السابقة السالفة صحته فتحققوا صدقه .

الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه وينقسم : إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر الله ورسوله عليه السلام وإخراج الذين أخرجوه من وطنه والى وعد مقيد بشرط كاقوله : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق :٣] (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) [التغابن :١١] (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) [الطلاق :٢] (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) [الأنفال : ٦٥].

الإخبار عن الغيبيات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي فمن ذلك : ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه هلى الأديان بقوله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [الصف:٩] ففعل ذلك وكان أبوبكر ﷺ إذا أغزى بجيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه ليثقوا بالنصر وليستيقنوا بالنجح وكان عمر يفعل ذلك فلم يزل الفتح يتوالى شرقا وغربا برا وبحرا قال الله تعالى : (الذين امنوامنكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف اذين من قبلهم) [النور :٥٥] وقال : (لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين رؤءسكم ومقصرين) [الفتح :٢٧] وقال (وإذ يعدكم الله

أحدى الطائفتين أنها لكم) [الأنفال :٧] وقال : (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سينين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون) [الروم :١-٤] فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين أو من أوقفه عليها رب العالمين فدل على ان الله تعالى اوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه .

ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام .

الحكم البالغة التى لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي .

التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف قال تعالى : (ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اهتلافا كثيرا) [النساء :٨٢].

الفصل الأول : الإعجاز الغيبي وأقسامه .

وفيه مبحثان

المبحث الأول : المراد بالإعجاز الغيبي في القرآن الكريم :

إن من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التى ذكرها العلماء الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب(١). ويقصدون كل ما كان غائبا عن محمد ﷺ ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها ولم يكن على علم بتفصيلاتها فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير ، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي ، كإخبار الله سبحانه وتعالى بما يكيده اليهود والمنافقون ،ويشمل أيضا ما تضمنه من الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان .

وهذا الإعجاز من أكبر أنواع الإعجاز التي حملها القرآن ،لأنه يستحيل أن يعرف البشر ما سيحدث في المستقبل لأن هذه خصوصية من خصوصيات الله قال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض والغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون) [النمل :٦٥].

المبحث الثاني : أقسام الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم .

إن كل غيب أخبر عنه القرآن لا يخلو أن يكون ضمن أحد هذه الأقسام الثلاثة التالية :

الأول : الغيب الماضي : والمقصود به الإخبار عن الأمم السابقة الغابرة . فلقد سمى الله سبحانه وتعالى الإخبار عن الأمم السابقة غيبا ،وأشار إلى وجه دلالتها على صدق رسول الله ﷺ وعلى كون القرآن الكريم إنما نزل بوحى من الله سبحانه وتعالى .فكثيرا ما يفتتح القرأن القصة أو يختمها بالإشارة إلى ان هذه الأمور ما كان لرسول الله طريق العلم بها إلا عن طريق الوحى من الله تعالى ، فمثلا بعد ذكر قصة مريم نبي الله زكريا لها قال سبحانه (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلمهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ

(١) ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني (٥٧) والشفاء بحقوق المصطفى للقاضي عياض (١-٢١٧)

يختصمون)[العمران :٤٤] فإن هذا النص يدل على أن القرآن من عند الله وعلى أن ذلك النوع من العلم ما كان عند محمد ﷺ وليس له به دراية .

ويقول سبحانه بعد قصة نوح عليه السلام مخاطبا نبيه محمد ﷺ (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) [هود :٤٩].

وهذه أيضا إشارة واضحة إلى ان هذا العلم من عند الله وأنه لم يكن معروفا عند العرب وما كانوا يتذاكرون به . قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية : يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ هذه القصة وأشباهها (من أنباء الغيب) يعني : من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها ،وجلبناها لك كأنك شاهدها ،(نوحيها إليك) أي : نعلمك بها وحبا منا إليك ، (ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتى يقول من يكذبك ، إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ،كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك ،وأذاهم لك فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ،ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والأخرة كما فعلنا بإخوانك المرسلين .(١).

ويقول جلت حكمته بعد قصة يوسف وذكر دقائقها وتفصيلاتها وعظاتها وعبرها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) [يوسف: ١٠٢] وقال ابن عطيه رحمه الله في معنى هذه الأية:"وفيها منه على النبي صلى الله وسلم ، وتعريض للمشركين بتنبيههم لإعجاز القرآن من الجانب العلمي ، فإن صدور ذلك من النبى الأمي أية كبرى على أنه وحى من الله تعالى . ولذلك عقب بقوله سبحانه (ولو حرصت بؤمنين)" [يوسف :١٠٣]

الثاني : الغيب الحاضر :والمقصود به ما جرى في عصر الرسول ﷺ من حوادث لم يحضرها ، ثم نزل القرآن الكريم متضمنا لها ومخبرا بحقيقة ما جرى . فالغاية الأساسية من الغيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣٢٨/٤)

على بينة أمرها . ففي تنبيه القرآن الكريم للرسولومن معه من المؤمنين على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغى اتخاذه حيال الوقائع ضمان لسلامة سير الدعوة وتجنيب لها عن الوقوع فيما يخطط لها أعداؤها من الكفار والمنافقين .ويضاف إلى هذا النوع من الغيب صدق رسول الله صلى عليه وسلم فيما يبلغ عن ربه ، حيث لم يكن له علم بما دار في غيابه ،وما خطط له وما جرى تنفيذه ،حتى أماط القرآن الكريم اللثام عن هذه الأمور وكشف حقائقها .ومن هذه الحقائق كشف خفايا المنافقين واليهود في المدينة وما يخططون له ولأصحابه عليه الصلاة والسلام.

الثالث : **الغيب المستقبل** : والمقصود بهذا النوع من الغيب ما سيقع في المستقبل فكل ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع سواء كان ذلك الزمن محدد بمدة لوقوعه كما حدد غلبة الروم ببضع سنين أو أطلق من غير تحديد للمدة الزمنية ،وهذا الشأن هو الأغلب في الحالات .ومن هذه الحوادث التى أخبر القرآن الكريم انها ستقع وما وقع بالفعل فكان وقوعها دلالة صدق لرسول الله صلى عليه وسلم كهزيمة المشركين في بدر بقوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[القمر :٤٥] ومنا ما تنتظر دورها والزمن كفيل بإظهار ذلككما قال سبحانه (ولتعلمن نبأه بعد حين)[ص :٨٨]

الفصل الثاني
تطبيقات على أنواع الإعجاز الغيبي

المبحث الأول : الإخبار عن الغيب الماضي وبعض الآيات الدالة عليه ووجه الإعجاز وفيها :

لقد قص علينا سبحانه في كتابه جزءا كبيرا من هذا النوع وهو الإخبار عن الأمم الغابرة وموقفهم من أنبياءهم فتجد القصة موجزة في موضع ومبسوطة في موضع أخر .

وكل ذلك تسلية لنبيه ﷺ ودليل إعجاز لهذا الكتاب العزيز وهي قصص حقيقية لا نسج من الخيال فلقد أخبرنا عنها سبحانه بقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغفلين) [يوسف :٣] وقوله سبحانه (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألبب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[يوسف :١١١]

فمن الأمثله التطبيقية على هذا النوع : ما قصه الله سبحانه علينا في كتابه العزيز عن قصة موسى عليه السلام فقال عز من قائل (نتلوعليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) [القصص :٣] وبعد انتهائها بقوله جل ثناؤه (وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسي الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم ءايتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطول إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) [القصص :٤٤-٤٦] فإن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم ذليل على أنه وحى منالله سبحانه وتعالى وليس من عند البشر ،لأن من ترعرت من بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطلع على مثل هذه الأمور التى لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي ، ولم يكن في تلك البيئة الأمية من يعرف هذه الأشياء على الوجه الدقيق. ومما يدل على هذا الإعجاز أن كفار قريش كانوا

يسألون اليهود أن يدلوهم على أمور يتحققون بها صدق محمد ﷺ، فقالوا : اسألوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين .فلما وافق ما أخبر به رسول الله ﷺ وما عندهم من انباء بل فاقها دقة وتفصيلا ،وصحح كثيرا مما لاتبس عليهم أمره واختلط عليهم واقعه أو حرفوه وبدلوه عن قصد منهم او كتموه تعمية وتضليلاً للناس ووقف موقف لتحدي منهم وبين الحق والصواب عند ذلك علموا أن هذا لم يكن لبشر أن يدركه بالغطلاع والتتبع والاستقراء مهما أوتي من علم وحكمة ودراسة لسير الأولين فما بالك إذا كان الذى جاء به أمي لا يقرأ ولا يكتب بل نشا في بيئة أمية كما أخبر عنه ربه سبحانه وتعالى بقوله (وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) [العنكبوت :٤٨].

بل وردت سور كاملة تقص علينا سير بعض أنبياء الله مثل سورة هود ويوسف وإبراهيم ونوح عليهم السلام .وهذا كله من الإخبار بالغيب عن الماضي الذي أخبر به عن النبي عليه الصلاة والسلام من قبل في كتابه العزيز وهذا دليل إعجاز حيث إنه ﷺ كان أميا لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس على أحد ولم يخرج من مكه فأخبره الله بها سبحانه فإن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم دليل على انه وحى من الله سبحانه وتعالى وليس من عند البشر .

يقول الإمام فخر الدين الرازي ١ عن هذه القصص القرآنية ودلالة القصة على النبوة من وجهين :

الأول : الاستدلال أنه عليه السلام لما لم يتعلم علما ولم يقرأ كتابا ولم يتتلمذ لأستاذ استحال منه دراية هذه القصص إلا عن وحي الله وتنزيله .

الثاني : أنه كان يذك القصة الواحدة مرارا مختلفة بألفاظ مختلفة ،وكل ذلك مشابهة في الفصاحة ، مع أن الفصيح إذ ذكر قضية واحدة مرة واحدة بالألفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة أخرى بألفاظ فصيحة قيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله تعالى لا من عند البشر ، كما قال سبحانه (وإنه لتنزيل

(١) ينظر أسرار التنزيل للرازي (٨/٢٨٥)

رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) [الشعراء :١٩٥١٩٢] .

فهذه الأوجه التى ذكرها الإمام الرازي هي وجوه الإعجاز في هذا النوع من الإعجاز الغيبي ولم يتوقف الإخبار عن الغيب الماضي على قصص الأنبياء بل ذكرت بعض الأحداث التى حصلت ونتائجها مثل قصة بني إسرائيل عندما قتلوا نفسا بغير حق وكتموا ذلك فقص علينا القرأن هذه القصة كاملة بجميع أحداثها بل سميت السورة بكاملها بهذه القصة عندما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها وتعنتهم في كثرة السؤال عن نوع البقرة حتى فعلوا ذلك وأحيى الله هذا القتيل الذي انكروا قتله عندما ضرب ببعض هذه البقرة .

وكذلك قصة أصحاب السبت الذين حرم الله عليهم الصيد يوم السبت فابتلاهم الله بأن تأتيهم الحيتان يوم السبت على الشاطيء ثم تعود ولا تأتي فضربوا بشيء من الحيل على شرع الله وانقسام الصالحين فيهم إلى قسمين قسم أنكر عليهم صنيعهم وتحايلهم وقسم سكتوا ولم يحركوا ساكنا فنجا الله الذين أمروهم بالمعروف ونهوهم عن السوء .

وكذلك قصة أصحاب الكهف ذلكم الفتية الذين خرجوا فارين بدينهم من ملكهم الظالم الكافر ، فقصها الله سبحانه بتوضيح كامل لها وما ذلك إلا دليل على إعجاز هذا الكتاب فقد كان اليهود يقولون لكفار قريش اسألوه عن أصحاب الكهف وذي القرنين فيأتيه الخبر من لدن حكيم حميد بتفصيل ،لهاتين القصتين حتى رد الله كيد اليهود في نحورهم .وتعجبوا بما جاء به من تفصيل للقصة وبسط لها مما أيقنوا معه أن هذا مرسل من ربه سبحانه وأنه لا يكون له ذلك إلا من الله سبحانه حيث إنه أمي كما أخبر الله سبحانه عنه بقوله (هو الذي بعث في الأمين رسول منهم) [الجمعة :٢] وقوله أيضا (وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) [العنكبوت :٤٨] . وفي نفس الوقت لم يكن النبي ﷺ يعلم بأخبار الأمم السابقة على التفصيل الدقيق الذي يخفي على كثير من المتخصصين علاوة على الأميين .وقد كانت أخبار الأمم الماضية مقصورة في الجاهلية على بعض الناس من العرب وغيرهم ممن شاع ذكرهم وانتشر في

الناس صيتهم وما عرف هذا يوما عن نبينا عليه الصلاة والسلام ومع ذلك فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من أخبار الأمم الماضية ، وفي بعض الحالات بادق التفاصيب التاريخية ، التى كانت تخفى على كثير من الذين كانوا على صلة بتاريخ الأمم السابقة كالإخبار عن قصة نوح عليه السلام في دعوته لقومه وعن سير تلك الدعوة وصدقها وعاقبتها وعم الطوفان الذي غمر الأرض وغير ذلك من الأمور .

وكالإخبار عن أحوال بنى إسرائيل مع أنبيائهم والكشف عن سوءاتهم ومخازيهم من قتل الأنبياء والتعنت في المطالب ،و الغلوا في الأمور والتاحيل على الشرع ، والعبث بالدين ، وكالإخبار عن حياة موسى عليه السلام من بدايتها إلى نهايتها وبأدق التفاصيل التاريخية التى كان يجهلها أكثر العرب إن لم نقل كلهم كما كان يجهلها كثير من بنى إسرائيل .

كما كشف هذا الغيب الذي أخبر به سبحانه عن كثير من الاخطاء التي كان عليها بنوا إسرائيل من اليهود والنصارى في شأن مريم ابنة عمران ، وعيسى عليه السلام ،و عزير ، فكان مطابقا لما كان معروفا عند بعض أحبار اليهود والنصارى ن ممن عرفوا الحقيقة .

ثم تكلم عن بدأ حياة ابنة عمران ، وما صاحب حياتها من الكرامات التى رآها زكريا عليه السلام ،ثم تكلم عن حقيقة حملها ، وبرأها مما كان يرميها به اليهود من الزنا ثم تكلم عن حقيقة عيسى بن مريم وأنه بشر من البشر ونفى عنه ما يزعمه النصارى من انه ابن الله ،وثالث ثلاثه كما نفى عنه انه قتل أو صلب على خلاف ما يعتقده النصارى أيضا ، ومما يتوافق مع الحقيقة التى كان يعرفها بعضهم زالحقيقة التي كشفت عنها الأيام . ولم تكن قصصهم فقط سردا للحقائق التاريخية التي كانت تخفى على نبينا عليه السلام ، والتي لم يكن قد تعلمها من قبل ، بل كانت في كثير من الأحيان تصحيحا لمعتقداتعن الباطلة التي بنوها على تاريخ محرف مزيف .

وما يدل على ذلك ما عرضه المسلمون المهاجرون إلى الحبشة من حقيقة الإسلام التي جاء بها القرءان فلم يكن النجاشي العارف بالحقيقة إلا أنه قال:" إن

هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ". ثم قال لما عرضوا عليه حقيقة عيسى بن مريم التى جاء بها القرآن والتي كان يجعلها أكثر من في الأرض حتى النصارى ،ومن أنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، لم يكن من النجاشي إلا أن أخذ من الأرض عودا ثم قال :" والله ما زادع يسى بن مريم على ما قلتم مقدار هذا العود"(١) .

وعلى افتراض أنه كان يتلقى هذه الأمور عن بعض أهلا كتاب كما يزعمه الملاحدة وكما زعمه المشركون في الماضي ،كيف يمكن للعقل البشرى أن يؤمن بمثل هذه الأباطيل وهو يحدث الناس بنقيض العقيدة التاريخية التى كان يؤمن بها كا أهل الكتاب في ذلك الوقت ،وإلى يومنا هذا ؟.

وكان ما حدث به وأخبر عنه هو الحق الذي أقره النجاشي وسلمان الفارسي ،وعدى ابن حاتم وكل ن أسلم من اليهود والنصارى .

إذا فإن وجه الإعجاز الغيبي في القصص وإن كان إخبارا عن الماضي إلا أنه إخبار من رجل أمي لا يعرف قراءة ، ولا كتابة ولا تاريخا بل أتى بأشياء تخالف ما كان يعرفه علماء التاريخ من الحقائق العلمية التى جعلت إخباره نافعة دالة على أنه ما أخبر به إلا من قبل عالم السر والعلانية كما أخبر عنه سبحانه بقوله (وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى)[النجم ٣-٤].

المبحث الثاني : الإخبار عن الغيب الحاضر وقت نزول الاقرىن وبعض الآيات الدالة على ذلك ووجه الإعجاز فيها :

لما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة كان يسكنها ثلاث قبائل مشهورة من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو النضي روبنو قريظة وزاد عليهم صنف أخر وهم المنافقون الذين أظهروا الدخول في الإسلام وهم يبطنون الكفر وكل هؤلاء كانو يتربصون بدعوة الإسلام ويكيدون لهذا النبي الكريم عليه الصلاةو والسلام فيتنزل القرآن ليكشف خططهم ويظهر حقائقهم ،ومن الأدلة على ذلك ما يلى :

١- ينظر سيرة ابن هشام (٣٣٥١/١)

ما جاء في شأن اليهود :

لما أدرك أعداء الله صدق رسول الله ﷺ فيما يخبر عنه ، ومطابقة كثير من أحكام القرآن الكريم لما في توراتهم عمدوا إلى التوراه فحرفوا أحكامها وجاؤوا يسألون النبى ﷺ عنها وهم يقولون : إن قال بمثل ما في أيديكم فخذوه وإلا فاحذروا . فأنزل الله قوله تعالى "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسرعون في الكفر من الذين قالوا امنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمعون للكذب سمعون لقوم ءاخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضع يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم " [المائدة :٤١].

وسبب نزول هذه الآية " أن رجلا من يهود أهل فدك زنى فكتب أهل فدك إلى الناس من اليهود بالمدينة ان اسألوا محمدا عن ذلك فإن أمر بالجلد فخذوه عنه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه فأنزل الله هذه الاية . (١)

وكذلك من الآيات الدالة على هذا الغيب الحاضر ما أخبر به القرآن الكريم عن أساليبهم الملتوية في إدخال الوسواس والأحزان في قلوب المسلمين يقول تعالى عنهم (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لوا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) [المجادلة :٨] وذلك أن اليهود عليهم لعنة الله كانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه فناهم النبى ﷺ فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الأية ٢

ما جاء في شأن المنافقين :

إن الفئة الثانية التي لم يقر لها قرار في المدينة بعد أن استوطنها المهاجرون وآخى رسول الله ﷺ بينهم وبين الأنصار هي فئة المنافقين وكان

(١) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ،ص (٩٦)
(٢) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ،ص (٢٢٦)

يتزعمها عبدالله بن أبى بن سلول فكان هو وأتباعه يحاولون النيل من الإسلام ووضع بذور الشقاق والخلاف بين المسلمين من الأوس والخزرج وبين المهاجرين كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا ولكن آيات القرءان الكريم كان لهم بالمرصان حيث كشفت عن أعمالهم وعن دخيلة أنفسهم فكان المسلمون على بينة من أمرهم .فمن تلك الأساليب الخاصة بالمنافقين التى كشفها الله لنبيه عليه السلام حيث نزل القرآن بفضحها أسلوب تثبيط المؤمنين وبث الفرقةفي صفوف المسلمين ، ففي غزوة أحد قام رأس النفاق بشطر الجيش وسحب أنصاره منه وهم حوالى ثلاثمائة وهم يرديون بذلك إيقاع البلبلة والأضطراب في قلوب المسلمين ولما هزم المسلمون في المعركة أبدوا شماتة الجبناء الأنذال ،والقرأن يصور خستهم القائمة على الخبث والجبن ويبرز الحقيقة الكامنة فيهم وهي ان ألسنتهم وصودورهم إنما تعيشان باستمرار على طرفي نقيض .ويكشف حقيقتهم لرسوله ﷺ والمؤمنين وينزل القرآن بهذه الحقيقة فيقول سبحانه وتعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لتبعناكم هم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان) [العمران :١٦٦-١٦٧].

والقرآن لم يقتصر في الإخبارعن الغيب الحاضر في زمن النبي ﷺ على الكشف لحالهم في المعارك فقط بل كشف كل حيلة للمنافقين وكل أساليبهم التى تصد عن دين الله وتوجد اضطاربا في صفوف المسلمين للنيل من وحدة المسلمين وإلقاء الوهن في قلوبهم مثل حادثة الإفك التى تولى كبرها زعيمهم عبدالله بن أبى بن سلول للنيل من عرض رسول الله ﷺ لتفريق وحدة المسلمين حول نبيهم وانقسامهم حول نبيهم عليه السلام فكشف القرآن حال هذه الفرية بقوله تعالى (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين، لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم، إذ تلقونه

بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) النور [النور :١١-١٧].

حيث كشف الله بهذه الآيات افتراء هؤلاء المنافقين وعلم المسلمين درسا بليغا في التربية وضبط النفس وعدم الانسياق والانحراف مع الإشاعات المغرضة المدسوسة .

فوجه الإعجاز في هذا لنوع من الإعجاز الغيبي أن الله أعلم نبيه ﷺ بكل ما يدور حوله من تحركات أعداءه فكشف له كل ما يخططون له وهذا دليل على إعجاز هذا القرءان في الإخبار مباشرة بما يحصل ويتنزل على رسوله ﷺ بما يفضح هذه الطريق وأن النصر حليفه كما قال سبحانه (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغلبون) [الصافات ١٧١-١٧٣] وكل ما أخبر به عليه السلام ووتتنزل عليه في عصره الذي عاش فيه كل هذا من الغيب الحاض وأنه وحي من الله لا يمكن لبشر أن يعلم الغيب كما قال سبحانه وتعالى (وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى) [النجم ٣-٤].

المبحث الثالث : الإخبار عن الغيب المستقبل وبعض الآيات الدالة عليه ووجه الإعجاز فيها .

إن من أنوع الإخبار بالغيب عن حوادث ستقع في المستقبل سواء كانت هذه الحوادث محددة بمدة معينة أو من غير تحديد ومن الأمثلة التطبيقية على هذا النوع ما يلي:

قوله تعالى (الم غلبت الروم في أدني الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون)[الروم :١-٤]. فقد أخبر سبحانه في اهذه الأيى بغلبة الروم وقد دارت رحى الحرب من بعد ذلك وهزم الفرس في بضع سنين ولم يكن النبي ﷺ ممن حضر هذه الحروب وعرف سبب الغلبة ،و ما يتوقع من بعده ن وقد تفائل المشركون من هزيمة الروم ، وهم اهل كتاب وعلو الفرس وهم أهل شرك وحسبوا من ذلك ان دعوة محمد ﷺ مآلها الخسران وشأنهم في ذلك شأن من سبقهم من أهل الكتاب .

ولقد تضمنت آخر الآيات السابقة بشارة للمؤمنين لم ينتبهوا لها إلا بعد وقوعها وهذه البشارة هي قوله تعالى في آخر الآيات (ويومئذ يفرح المؤمنون) فهم المسلمون أن هذا الفرح هو فرحهم بانتصار أهل الكتاب من الروم على الفرس ،ولقد بينت مجريات الحوادث أن ذلك انتصار المسلمين على المشركين في غزوة الحديبية التي سماها تعالى (فتحا مبينا) وفرحهم بذلك كان في نفس الوقت الذي تحققت فيه نبوة القرآن الكريم بتغلب الروم على الفرس(١).

ولقد توعد القرىن الكريم أناسا معروفين وحدد مصيرهم في الدنيا والأخرة أنهم سيموتون على الكفر ويخلدون في النار كأبى لهب (تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) سورة[المسد] والوليد بن المغيرة (ذرني ومن خلقت وحيداوجعلت له مالا ممدوادا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم أطمع ان ازيد كلا إنه كان لأيتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر) [المدثر ١١-٢٦] وأبي جهل (أرءيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدي أو وأمر بالتقوى ارءيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته بنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئه فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب)[العلق ٩-١٩]

فلو لم يكن القرآن الكريم من علام الغيوب ، والمحيطبالماضي والمستقبل لما صح ذلك في كل ما أخبر به ، بل لما كان من عاقل البشر أن يضع مصير دعوته على شيء معين فلو امن واحد من هؤلاء الثلاثة الذين دمغهم القرآن بالكفر وخلد في الأشقياء ذكرهم ، لانطفأت شعله الإسلام ،ولقامت الحجة على القرآن ومن جاء به ، لو أسلم أبو لهب مثلا لما كان لقوله تعالى فيه (سيصلى نارا ذات لهب) منصرف ولا واقع ،ولأصبحت هذه الأية في واد والواقع في واد اخر .وكيف كان محمد ﷺ يقابل الناس بها ،وقد أصبح أبو لهب من الصاحبة كعمر بنالخطاب

(١) ينظر مباحث في إعجاز القرأن دمصطفى مسلم ٢٩٣

وغيره من الذين كان لهم موقف معاد للإسلام قبل أن يدخلوا فيه ،أفليست هذه معجزة قاهرة ، وأي معجزة أبهر وأقهر من أمر لا يكلف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانة فيبطل بها قول محمد صلىى الله عليه وسلم ويفسد أمره جميعه ،ثملا يقول الكلمة ، ولا تسمح له الحياة بأن يقولها فقد عاجلته المنية يوم الفتح الذي دخلت فيه قريش كلها الإسلام ، وكان مصير أبى جهل والوليد مثل مصير صاحبهما ابي لهب فلو دخلوا الإسلام لكان إسلامهم هدما للإسلام كله .

أفلا يدل هذا جليا أن القرىن من عند خالق الحياة والممات والذي مصير كل شيء بيده ، ومآل كل أمر إليه وهو الذي حفظ دينه وكتابه (وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتب لا ريب فيه من رب العالمين) [يونس :٣٧].

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [القصص :٨٥] يخبر سبحانه في هذه الاية نبيه عليه الصلاة والسلام بعد ما خرج من مكة مرغما على شوقه الكبير إليها فطمأنه جل جلاله في الإعجاز الغيبي بهذه الآية الكريمة المتضمنه وعدا غير مكذوب ومن اوفى بوعده من الله ؟

فقد روى مقاتل (١) أنه عليه الصلاة والسلام خرج من الغار حين الهجرة وسار في غير الطريق مخافة الطلب ، فلما أمن رجع إلى طريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها .وذكر مولده ومولد أبيه ، فنزل جبريل عليه السلام وقال له أتشتاق إلى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم فقال جبريل فإن الله يقول : (إن الذي فرض عليك القرءان لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلل مبين) [القصص :٨٥] يعني بلدك وهي مكة التى خرجت منها طريدا (٢) وكذلك قوله تعالى (سيهزم الجمع يولون الدبر) [القمر :٤٥].

فهذه الأية من سورة القمر نزلت بمكة وهزيمة الجمع كانت في يوم بدر بعد

---

(١) هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراسان أبو الحسن كان مشهورا بتفسير كتاب الله وله تفسير مشهور (١٥٠) ينظر : (سير اعلام النبلاء ٣٩٢٤/٣)
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢٢٧/٦)

هجرته في رمضان من السنة الثانية فمن أعلمه عليه الصلاةو السلام بهـزيمتهم بمكة قبل هجرته فهذه الآية من الإخبار عن الغيب المستقبل فخبره سبحانه بـذلك ويشهد لذلك قول عمر ﷺ : نزل قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ولـم أعرف تأويله حتى كان يوم بدر فرأيت النبي يثب في درعه ويقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [القمر :٤٥](١)

ولو ذهبنا نتتبع أخبار القرآن الكريم في هذا النوع من أنواع الغيب لوجدنا أمثلة كثيرة في كتاب الله منه ، وإنما نشير إلى جملة من الآيات الكريمة في هذا لاشأن ،فمن هذه الآيات قوله تعالى (واللع يعصمك من الناس) [المائدة:٦٧] وقوله تعالى (ولتدخلن المسجد الحرام) [الفتح : ٢٧]

وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) [النور :٥٥]

وقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون)[الحجر :٩]

وقوله تعالى (إن كفينك المستهزئين) [الحجر :٩٥]

وقوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقتلونهم أو يسلمون) [الفتح :١٦]

وقوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴿ 4 ﴾فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولـي بـأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴿ 5 ﴾ثم رددنا لكـم الكـرة علـيهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴿ 6 ﴾إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلـوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴿ 7 ﴾عسى ربكم أن يرحمكم وإن عـدتم عـدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴿ 8 ﴾) [الإسراء :٨-٤]

(١) أخرجه عبدالرازق في تفسيره (٢/٢٥٩). وابن جرير في جامع البيان (١٥٧/٢٢) وابـن أبى حاتم (١٠/٣٢٢١) عن عكرمه مرسلا ووصله الطبراني في الأوسط (٣٨٤١) عن أنس عن عمر ،وعن أبى هريرة مطولا برقم (٩١١٧)

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وبعد ....

ففي ختام هذا البحث المتواضع الذي جاء بعنوان : الاعجاز الغيبي في القرآن الكريم دراسة نظرية وتطبيقية في بعض آيات القرآن فهذه جولة سريعة مع بعض آيات الذكر الحكيم التي بينت لنا خلاله جميع أنواع الإعجاز الغيبي ووجه الإعجاز فيها وهي أن حالة محمد ﷺ عند إطلاق هذه الأنباء الموغله في القدم ،أو الحاضرة الخافية في صدور أهلها ،أو الوعود المستقبلة التى كانت في مجاهل الغيب ،وكان حاله في كل ذلك حال الواثق المتيقن من الأمر ، وهو بشر لم يطلع على كتب السابقين ولا يملك تصرف أمور المستقبل شيئا ، وكان هو بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) [الأعراف :١٨٨] فلو لم يكن مستندا إلى ركن قوي ما أطلق مثل هذا ،وجازف بدعوته وهو الذي عرف عنه التعقل والحكمة ولم يعهد منه تسرع في أمر أو تقول بلا رؤية حتي قبل أن يكرمه الله بالرسالة. فلا شك أن الوحي الإلهي كان ينطقه كما أنا الصدق المطلق الذي رافق القرآن الكريم من يوم نزوله إلى يوم انقطاع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ إلى رفيق الأعلى ، أمر يوجب التوقف والتدبر وبهذا نصل إلى أهم النتائج والتوصيات :

إن الصدق في أخبار القرآن الكريم ظاهرة لا يستطيع إنكارها أحد ،حتي الذين عادوا الإسلام ، كان هؤلاء يضمرون في أنفسهم احترام صدق القرآن وحقيقته بالرغم من ركام الوثنية والشرك والتكذيب الى لاقوه به ،بل كل هذا الاحترام المنتزع منهم والمفروض عليهم ملازما لشخص الرسول ﷺ الذي كان ينطق بالقرآن .

إدراك مشكري العرب هذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله ﷺ والمؤمنين به ، حيث صدقت الحوادث الكونية كثيرا مما أخبرهم به القرآن الكريم.

أدرك أهل الكتاب صدق القرآن فيما أخبرهم به من الحوادث الغابرة التي

كانوا يعرفونها من بطون كتبهم وكذلك أدركوا هذا الصدق المطلق من خلال كشف القرآن لمخططاتهم ومؤامرتهم على الإسلام وأهله.

إن هذه الأنباء الصادقة التى جاء بها القرآن الكريم لدليل ظاهر وبرهان قاهر على أنه كلام رب العالمين الذي يستوي عنده علم السابق واللاحق لا تخفى عليه خافية لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكل ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر ولا زالت الأيام تكشف عن جوانب من هذه الأنباء سواء في الكون أو الإنسان أو الحوادث الكونية العامة الشاملة .

غن ظاهرة الإخبار بالمغيبات في القرآن الكريم وتصديق الوقائع لها وعدم تخلف الصدق عنها واو في جزئية بسيطة لدليل على أنه وحى ممن خلق الأرض والسماوات العلى أنزله رسوله ليكون دلالة على صدقه .

إن من أهم التوصيات أن يفرد هذا الوجه من وجوه الإعجاز ويجمع في بعض الرسائل الجماعية حتى تبين هذا الوجه وأهميته ويتعرض لكل آية من ايات الإعجاز ويبين وجه الإعجاز فيها ،لأني لم أجد كتابا تفرد بهذا الوجه من وجوه الإعجاز وإنما وجدت مباحث متفرقة في بعض كتب الإعجاز .

ثبت المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، تحقيق فواز أحمد زمرلى ،نشر :دار الكتاب العربي ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة (١٤١٦هـ).
- إعجاز القرآن ،لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني ، دار المعارف بالقاهرة : تحقيق السيد احمد صقر .
- إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء دراسة نقدية مقارنة تأليف محمد حسن عقيل موسيى ،دار الأندلس الخضراء الطبعة الأولى(١٤١٧).
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تشر : دار الفكر بيروت ،الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٥ هـ
- تفسير القرآن العظيم ،لأبى الفداء ابن كثير الدمشقي ،تحقيق :سامي بن محمد السلامه ،نشر :دار طيبة ،الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي نشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، عناية حسان عبدامنان نشر : بيت الأفكار الدولية لبنان لطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٤ م .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق : مصطفى السقا وغيره مطبعه مصطفى البابي الحلبى بمصر .عام ١٩٥٥.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط نشر : دار ابن كثير دمشق الطبعه الأولى ١٤٠٦ .
- صحيح مسلم مع شرح النووي ، نشر : مؤسسة المدني مصر الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢ .
- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ، نشر :دار إحياء العلوم، بيروت الطبعة الثامنة سنة ١٤١٤ هـ
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ،

نشر دار صادر ببيروت الطبعه الثالثة سنة ١٤١٤ .

- مباحث في إعجاز القران د مصطفي مسلم دار المسلم للنشر التوزيع الطبعة الثانية ١٤١٦ هـــ
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع :عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم نشر : مكتبة ابن تيمية مصر .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد نشر دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـــ
- معالم التنزيل ، لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوى تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعه حميرية وسليمان مسلم الحرش : نشر دار طيبة الرياض الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧
- المعجزة القرآنية بين الإعجاز العلمي والغيبي تأليف د محمد حسن هيتو مؤسسة الرسالة الطبعه الثالثه ١٤١٩هـــ
- من فيض إعجاز القرآن تأليف الشيخ هاشم محمد سعيد دفترادر.